الأساليب النقدية والاقناعية في أقوال قاسم أمين الحجاجي

م.د. سامر عباس حسين

جامعة الإمام جعفر الصادق (ع) فرع صلاح الدين/ كلية التربية / قسم اللغة العربية

samer_abbas@ijsu.edu.iq

الملخص

يعد قاسم امين (١٨٦٣م- ١٩٠٨م) من ابرز المصلحين الاجتماعيين في مصر والعالم العربي، وقد أثارت آراءه الكثير من الجدل، منذ بدء دعوته لتحرير المرأة سنة ١٨٩٩م. فضلاً عن مما لاقاه من هجوم وردود أفعال غاضبة ضد دعواته وافكاره، فإنه قد استطاعة بأسلوب كتاباته التأثير في المجتمع المصري، وافتعال تغييرات جذرية فيه، فكان لابد من توجيه العناية إلى خطابه الحجاجي الإقناعي، واللغة التي شكلت هذا الخطاب.

وتنتمي هذه الخطابات الحجاجية إلى الحجاج الإجتماعي، وإنها تعالج موضوعات إجتماعة خالصة؛ فقد أتى فيها المؤلف بأفكار إصلاحية جديدة مغايرة لعادات المجتمع وتقاليده، ومصادمة لها؛ الأمر الذي جعله يلجأ إلى التوظيف الحجج بمختلف أنواعها ليحظى بالانسجام وتأييد المتلقين

ويتمكن إقناعهم عقليًا بهذه الأفكار، والتأثير العملي في سلوكهم.

والحجاج الاجتماعي يستوعب ما هو أكثر من قضية المرأة التي ارتبط اسم المؤلف بها ولاسيما قضايا المجتمع العربي بالعموم والمصري بالخصوص مثل: التربية، والتعليم، والبطالة والفساد في شتى مجالاته، وغير ذلك من الموضوعات التي عالجها المؤلف.

الكلمات المفتاحية: (الأساليب النقدية والاقناعية، قاسم أمين الحجاجي).

Critical and Persuasive Methods in the Sayings of Qasim Amin al-Hajjaji

Assistant Professor Samer Abbas Hussein

Imam Ja'far al-Sadiq University (AS) Salah al-Din Branch / College of Education / Department of Arabic Language

samer_abbas@ijsu.edu.iq

Abstract

Qasim Amin (1863-1908) is considered one of the most prominent social reformers in Egypt and the Arab world. His views have sparked much controversy since he began his call for women's liberation in 1899. In addition to the attacks and angry reactions he faced against his calls and ideas, his writing style was able to influence Egyptian society and bring about radical changes within it. Therefore, it was necessary to pay attention to his persuasive argumentative discourse and the language that shaped it.

These argumentative speeches belong to the category of social argumentation, and they address purely social issues. The author presented new reformist ideas that contradicted and clashed with societal customs and traditions. This prompted him to employ various types of arguments to gain the audience's support and acceptance, to convince them intellectually of these ideas, and to practically influence their behavior. Social argumentation encompasses more than just the issue of women, with which the author is associated, but also encompasses issues specific to Arab society in general and Egyptian society in particular, such as education, unemployment, corruption in all its aspects, and other topics addressed by the author.

Keywords: (Critical and Persuasive Methods, Qasim Amin Al-Hajjaji).

منهج البحث

تعتمد دراسة البحث في تناول خطاب قاسم أمين الحجاجي على منهج النظرية الحجاجية البلاغية وتفيد من منهجية نظرية الاتصال اللغوي ومعطياته.

أهداف دراسة البحث

١- دراسة إنتاج قاسم أمين لغويًا وحجاجيًا.

٢- والربط الوثيق بين خطاب المؤلف بوصفه إنتاجًا لغويًا، والسياق الاجتماعي الذي انتجه.

٣- الربط بين دراسة خطاب الحجاج الاجتماعي عند المؤلف من منظور تحليل الخطاب الاتصال؛ لأهمية الربط بين المرسل والمتلقي وقناة الاتصال، والخطاب يمثل عنصر الرسالة، بينما يمثل كل من المرسل والمتلقي تحليل الخطاب.

٤- تحديد وسائل التأثير الإقناع المختلفة في الخطاب الحجاجي.

اقسام البحث

تقسم الدراسة بعد الملخص إلى مبحثين وخاتمة.

المبحث الأول: أدوات التأثير الدلالية: تتمثل أدوات التأثير الدلالية في الألفاظ الانفعالية، والمبالغة والسلاسل اللفظية.

المبحث الثاني: أدوات التأثير البلاغية: تتمثل أدوات التأثير البلاغية في استخدام المجاز، والكناية، والمقابلة، والطباق الحجاجية.

المبحث الأول/ أدوات التأثير الدلالية

أ-١-الألفاظ الانفعالية

تؤدي اللغة مهمتين رئيستين، الأولى هي أن تكون أداة للتعبير عن الحقائق والقضايا، ويكون الهدف منها مجرد توصيل الافكار ونقلها. أما الوظيفة الثانية تهدف إلى التعبير عن العواطف والانفعالات، وإثارة المشاعر، والتأثير في السلوك الإنساني[١].

تناولت هذه الدراسة الالفاظ الانفعالية عن طريق دلالتها التي وظفت من أجلها لتثير نفوس المتلقين ومشاعرهم.

ومن امثلة الألفاظ الانفعالية التي وظفها المؤلف في خطابه الحجاجي

*ألفاظ تحرك مشاعر الحزن والأسى والألم:

قوله في كتاب ((أسباب ونتائج) الذي يتكلم عن احوال مصر الاقتصادية مقارنة بأحوال اوروبا إذ يقول "... لأنها وضعت في جانب هاته المدن لظهرت في حالة فقر محزنة"[٢].

فلفظا (فقر) و (محزنة) في نفوس السامعين مشاعر الحزن والأسى تجاه وضع مصر الاقتصادي السيء، مما قد يكون له دور في إثارة استجابتهم العملية لتغيير ذلك الوضع.

وقوله في سياق حديثه عن الموظف الذي لا يمتلك المهنية والغاش بوطنيته قبل أن ينال المناصب العليا: "هذا الموظف كان دائما يتأوه معنا على حالة الانحطاط الاجتماعي من حيثية الأخلاق التي نحن فيها"[٣].

يثير لفظ (الانحطاط) في نفوس السامعين مشاعر التأسف والحزن على أحوال مصر الاجتماعية وكذلك يوحي بمدى سوء حال المجتمع بمختلف مستوياته ومجالاته، ولاسيما مجال العمل والوظائف وهو لفظ انفعالي دال على قيم أخلاقية ومعان مجردة. أما الفعل (يتأوه) يثير إلى جانب الأسى والحزن مشاعر الغضب ، وهو لفظ انفعالي في أصل معناه ويكتسب دلالة مضافة من السياق.

*ألفاظ تحرك مشاعر الرثاء والتعاطف(الاستفزازية)

كقوله ف كتاب (تحرير المرأة) الذي تكلم فيه عن قهر المرأة وحرمانها من حقوقها:

"... أجيالاً طويلة كانت المرأة فيها محرومة من استعمال القوتين المذكورتين، ومقهورة على لزوم حالة من الانحطاط تختلف في الشدة والضعف على حسب الاوقات والاماكن"[٤].

فألفاظ (محرومة، ومقهورة، انحطاط) تثير مشاعر الرثاء والشفقة نحو المرأة التي حرمت من أبسط حقوقها وهي التعليم والمشاركة الاجتماعية والتربية الصحيحة خلال فترة زمنية طويلة.

والصيغة الصرفية (اسم المفعول) في (محرومة ، مقهورة،) تدل على أن فعلي القهر والحرمان وقعا عليها. ويعد ارتباط (الانحطاط) باللزوم، ارتباط معاً بالقهر على ذلك، وإنه ليس فعلاً إراديًا من جانب المرأة يزيد الحدة الانفعالية.

وأرتبط النص كله بقوله (أجيالاً طويلة) وهو مركب غير انفعالي بطبيعته لكنه هنا رفع الحالة الانفعالية؛ لأن هذا الوضع المزري ليس حديثاً ولا موقتاً، ولكنه وضع مستقر منذ (أجيالاً طويلة) يؤدي إلى استفزاز المتلقي، وفيه دلالة على بؤس المرأة وشقائها لحرمانها من هذه الحقوق، وفيه محاولة لكسب تعاطف المتلقين معها.

*ألفاظ تحرك مشاعر السخط والرفض والكراهية :

كقوله في كتاب (أسباب ونتائج) أثناء حديثه عن الاستقلال في المعيشة: "ولكن من العبث أن يقوم شخص بجميع حاجات شخص آخر، ومن العار على هذا أن يقبل مثل هذه المعيشة..." [٥].

من الطبيعي لفظا (العبث، والعار) يهيجان مشاعر السامع ويحققان في نفوسه الرفض للأشخاص المتواكلين، والسخط عليهم، والنفور منهم. وهما لفظان دالان على الانفعال الداخلي وربما خارجي والسبب هو الاهمال والتوكل. مما يؤكد أن نظرية الحجاج في اللغة تنطلق من فكرة مفادها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير، وأن الوظيفة الاساسية للغة هي الحجاج، وأن المعنى ذو طبيعة حجاجية[٦].

وقوله في كتاب (تحرير المرأة) الذي ينص عن نظرة الشرقي للمرأة : "فإن الرجل لما كان مسؤولاً عن كل شيء استأثر بالحق في التمتع بكل شيء ولم يبق للمرأة حظ في نظره إلا كما يكون لحيوان لطيف يوفيه صاحبه ما يكفيه من لوازمه تفضلاً منه على أن يتسلى به"[٧].

فألفاظ والعبارات مثل: (التمتع، استأثر، كل شيء، لم يبق، حيوان لطيف، تفضلاً، يتسلى به) تدل على مدى أنانية الرجل واستئثاره بكل شيء دون النظر على أنها امرأة، مما تثير لدى المتلقي مشاعر الغضب والسخط والرفض والكراهية لذلك الرجل الأناني، هذه الألفاظ التي وردت في

الخطاب نتج عمل المحاججة ولاسيما عندما يكون الرجل السيء أناني جداً[٨].

وبعض هذه الافعال بطبيعتها انفعالية مثال ذلك: (التمتع، وتشبيه المرأة بالحيوان اللطيف) مما يرفع السياق من حدتها الانفعالية.

٢- المبالغة

قول ابو هلال العسكري في حديثه عن المبالغة "المبالغة أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه"[٩].

للمبالغة دور مهم في كسب السامع واثارته وهي تعد عنصر اساسي لاستمالة المتلقين وجذبهم

ومن نماذج المبالغة التي وظفها قاسم أمين في خطابه الحجاجي

يقول في سياق حديثه عن الكسل بوصفه واحداً من عيوب التربية: "انظر في تاريخ حياة كل فرد منا تجده مملوءاً بالأكل والشرب والنوم ورواية القصص القديمة والنوادر المضحكة والتنكيت والضحك الصناعي والأقوال الفارغة والألفاظ التي معانيها غامضة أو ظاهرة نصف الظهور. وقد لا تجد في صحيفة واحدة من صحف احدنا عملاً يذكر"[١٠].

تعد هذه المبالغة نوع ثاني إذ إنها ممكنة عقلاً لا عادة، فلا بد لكل فرد أن يكون له عمل واحد على الاقل له قيمة وفائدة، ولكن استخدام قاسم أمين لهذه المبالغة ينبه إلى أهمية أن كل فرد يشغل أوقاته فيما ينفعه وينفع الآخرين من حوله، ويحثهم على نبذ الكسل والأعمال الفارغة التي لا تقدم منفعة.

وقوله في كتاب (المرأة الجديدة) إذ يتكلم عن تربية الأبناء: "ولكن وا اسفا نرى آمالنا فيهم خائبة. نرى لهؤلاء الشبان المتعلمين قلوباً يابسة وهممًا صغيرة وعزائم ضئيلة. أما العواطف فهي بالتقريب منهم معدومة، فلا يروق لأعينهم منظر جميل كما لا ينفرهم مشهد قبيح ولا يعطفهم حنو ولا تبكيهم مرحمة ولا يحترمون كبيرًا ولا يستصغرون صغيرًا ولا تحركهم منفعة إلى عمل مهما عظم نفعه"[١١].

المبالغة في وصفه لمشاعر الشباب بأنها معدومة، وهي مبالغة من النوع الأول الممكن عقلاً وعادةً

(تبليغ)؛ ليخبر مدى سلبية هؤلاء المتعلمين من الجيل الجديد، وتقاعسهم عن القيام بأي عمل مؤثر نافع لمجتمعهم؛ إذ إنهم تعلموا ولم يربوا تربية جيدة، ولهذه المبالغة قيمتها الحجاجية؛ إذ إنها تسند دعوته وآراءه حول أهمية التربية وضرورة العناية بها إلى جانب التعليم؛ فالتعليم وحده لا يكفي كما انها تستفز المتلقين من المتعلمين ليعلموا على أن يكون لهم دور فاعل وإيجابي ومؤثر في المجتمع.

٣-توظيف السلاسل اللفظية حجاجيًا:

تعد السلاسل اللفظية من الوسائل اللغوية الإقناعية البارزة في الخطاب الحجاجي، وهي لون من ألوان التكرار على المستوى اللفظي، وعادة تتكون من مكونين، وقد تمتد إلى ثلاثة مكونات وربما اكثر.

وتمتلك السلاسل اللفظية دورًا خطابيًا، فهي ليست مجرد أدوات تزيينية ، فعندما تتردد تلك السلاسل عن طريق خطاب المجادلة تميل إلى خلق تأثير انفعالي مباشر. وهي تقع على نطاق واسع عندما يركز على الافكار تركيزاً حماسياً قوياً، ويقصد إلى تلك السلاسل قصداً مباشراً، عند ممارسة تأثير جارف في عقول المتلقين(١٢).

وقد وظف قاسم أمين عدداً من السلاسل اللفظية في خطابه لأغراض مختلفة يجمعها المقصد الحجاجي، ومن الامثلة على ذلك:

قوله في كاتبه (أسباب ونتائج) عن مسؤولة الأم الثقيلة في تربية أبنائها: "فتكون هي المكلفة، والحالة هذه بالقيام بشؤون واحتياجات المنزل، وطلب الرزق، وإدارة الأموال، وتربية الأولاد"(١٣).

فقد عبر المؤلف عن اعباء الأم ومسئولياتها الثقيلة والكبيرة في أسرتها بسلسلتين، الأولى شئون واحتياجات المنزل. والثانية هي طلب الرزق وإدارة الأموال وتربية الأولاد.

وقد وظف في هذه السلسة حرف العطف الواو رابطًا، والواو كما يقول ابن يعيش هي أصل حروف العطف، وهي تدل على الجمع المطلق من غير ترتيب، إلا أن دلالتها على الجمع اعم من دلالتها

على العطف[١٤].

ويقول ابن هشام إن الواو العاطفة معناها مطلق الجمع، ويجوز أن يكون بين متعاطفيها تقارب أم تراخٍ[١٥].

والمقصد الحجاجي لهذه السلسلة التعداد والجمع لمهام المرأة تأكيداً لدورها وتمهيداً لدعوته لتحريرها.

وقوله في ثنايا حديثه عن عدم احترام الرجل لأسرته، وكثرة الطلاق: "...ويتركوا أولادهم هملاً شرداً في الطرقات بلا مأوى ولا نفقة ولا تربية"[١٦].

وظف في هذا السياق سلسلتين لفظيتين الأولى ثنائية: (هملاً ، وشرداً)، مكونة من حالين، ولا يربط بينهما حرف عطف بل يربط بينهما رابط معنوي، وتدل على سوء الحال التي يصل إليها الأبناء نتيجة اهمال آبائهم لهم.

والسلسلة الثانية ثلاثية : (بلا مأوى ولا نفقة ولا تربية)، الرابط بينهم حرف الواو، وفيها بيان لإهمال الأب لأبنائه من جميع النواحي؛ مما يثير في نفوس المتلقين مشاعر الشفقة والرثاء إلى حال هؤلاء الأبناء، ومشاعر السخط والغضب ضد ذلك الأب البائس.

يلاحظ أن استعمال قاسم أمين للسلاسل اللفظية في خطابه الحجاجي يعبر عن دلالات متنوعة كما بيناها سابقاً.

ويلاحظ ايضاً تنوع السلاسل اللفظية، فمنها يحمل علاقات الترادف، ومنها ما يحمل علاقات التضاد، وكان الربط بين مكونات السلاسل غالباً بحرف العطف (الواو).

فاستطاع قاسم أمين بتوظيفه لهذه السلاسل اللفظية على اختلاف دلالاتها، والعلاقات بين المكونات، وعدد تلك المكونات، والرابط بينها أن يحقق مقصده الحجاجي، ويبرز أفكاره وآراءه بوضوح للمتلقين من جهة، ويدحض بعض دعاوى معارضيه من جهة أخرى.

المبحث الثاني/ أدوات التأثير البلاغية:

تتمثل أدوات التأثير البلاغية في استعمال المجاز، والكناية والطباق والمقابلة الحجاجية، وتعد لها

دور كبير في استمالة المتلقين.

١-المجاز:

يعرف الخطيب القزويني (ت٦٨٢هـ) المجاز بأنه الكلام المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته، فلا بد من العلاقة ليخرج الغلط والكناية(١٧).

ويرى الدكتور حنفي شرف أن للمجاز أثره الكبير في توضيح الفكرة؛ فالمجاز هو اداة التعبير لأنه تشبيهات وأخيلة وصور مستعارة، وإلى جانب ذلك يفتح آفاقاً واسعة للتعبير أمام المرسل يستطيع فيها خيالة أن يصول ويجول، مما تشترك كل حواس المتلقي في استقبال الصورة التي يقدمها إليه المرسل(١٨).

ويرى أولمان أن الاستعمالات المجازية يقصد بها إثارة العواطف والتأثير في سلوك الإنسان، فضلاً عن ظهورها في أقنعة زائفة توهم أنها وسائل حقيقية لتوصيل الأفكار ونقلها(١٩).

وتعالج الدراسة الصور المجازية القائمة على التشابه، والمتمثلة في التشبيه والاستعارة فكما يقول الدكتور علي عمران أن هناك صورتان بلاغيتان قائمتان على التشبيه والاستعارة، ويؤكد بعض البلاغيين أن هاتين الصورتين تؤولان إلى أمر واحد(٢٠).

ويقول عبد الله صولة عن العدول في محور المشابهة (الاستعارة والتشبيه) في المجاز بقوله: العدول عن (ب) إلى (أ) لكون (أ) معلومة معطاة ومجمع عليها، و(ب) بؤرة، وفي هذه الحالة تكون (أ) محل استلزام(٢١).

ويقول أن الغايات التي يؤتى بالمشبه به من أجلها ترجع من وجهة نظر الحجاجية إلى أصل واحد، وهو يعدل (ب) التي تعد معلومة جديدة إلى (أ) التي تعد معلومة قديمة، ففي العدول تثبيتًا للدعاوى المطروحة، وخرق لأول ثغرة في حصن المرسل إليه المنكر(٢٢).

ويرى كذلك أن الحجة الناتجة عن الاستعارة والتشبيه تحديداً تظهر فعاليتها الحجاجية في أنها تمثل

درجة أعلى في الإقناع من درجة المعنى الحقيقي الذي جاءت تسد مسده[٢٣].

٢-التشبيه

يعرف ابو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) التشبيه أن الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب مناب او لم ينب، وجاء في العر وسائر الكلام بغير اداة التشبيه[٢٤].

ويرى الدكتور علي عمران أن التشبيه من أقرب الصور اللغوية القائمة على علاقة التشابه تناولاً؛ إذ هو مجرد إبراز للعلاقة التشابهية بين عنصرين سواء أعتمد هذا الإبراز على أداة لغوية صريحة أم لا، سواء ذكرت علاقة الشبه باسمها أو ترك اكتشافها إلى فهم المتلقي ومعطيات السياق[٢٥].

والهدف من الصورة التشبيهية هي الكشف عما بين المدلولات من شبه خفي؛ بل إيقاع التماثل بين عناصر الكون المتباينة فيما يأتيه المرسل من إعادة تشكيل العالم[٢٦].

ومن نماذج التشبيه التي وظفها قاسم أمين في خطابه الحجاجي

قوله في كتاب (تحرير المرأة) اثناء حديثه عن الزواج : "فهذا النظام الجميل الذي جعل الله أساسه المودة والرحمة بين الزوجين آل أمره بفضل علمائنا الواسع إلى أن يكون اليوم آلة استمتاع في يد الرجل..."[٢٧].

تشبيه الزواج عند الرجل بآلة اللهو والمتعة، والمستوى المشترك بين الزواج وآلة اللهو أن كليهما مصدر لمتعة الرجل، وأن الرجل هو المتحكم والمسيطر على زمام الأمور في كل من الحالتين(الزواج، استخدامه لآلة اللهو). وهذا التشبيه يوحي بمدى استهتار الرجل وامتهانه لقيمة الزواج، ذلك الميثاق الغليظ، ويقرب المعنى إلى أذهان المتلقين ليقنعهم بصدق رؤيته للزواج عند الرجل.

وقوله عن التربية هي السبيل الوحيد لتخليص المصريين من عيوبهم: " ... وقد اتفق جميع أهل النظر في مصر على أن التربية هي الدواء الوحيد لذلك الداء"[٢٨].

تشبيه التربية بالدواء الذي يعالج عيوب المصريين وسلوكياتهم الخاطئة ويقضي عليها والمستوى

المشترك بين كل من التربية والدواء هو أن كلاً منهما يعالج الأمور السلبية غير المرغوبة، فالتربية تعالج عيوب الاشخاص وتهذب أخلاقهم، والدواء يعالج الأمراض البدنية ويزيل آثارها.

وهذا التشبيه يبرز الأثر الفعال للتربية في القضاء على آفات المجتمع المصري وعيوبه، وينبه إلى ضرورة العناية بالتربية والاهتمام بها؛ من أجل إصلاح المجتمع(٢٩).

يلاحظ أن قاسم أمين في خطابه يذكر المشبه والمشبه به وأحياناً يذكر أداة التشبيه وأحياناً لا يذكرها، وقليلاً ما يذكر وجه الشبه، فالتشبيه عنده في الغالب غير مكتمل الأركان ويوظفه لتقريب المعنى المراد إلى أذهان المتلقين، وتوضيحه.

٣-الاستعارة

يعرف ابو هلال العسكري الاستعارة بأنها نقل العبارة عن موضع استعمالها في اصل اللغة إلى غيره لغرض، ويعد ذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه(٣٠).

ويقول عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به حين الوضع، ثم يستخدمه الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعارية(٣١).

والاستعارة – في رأي جورج لايكوف من أكثر الوسائل الأسلوبية رواجًا في كلام البشر والإنتاج الأدبي، وتوجد بعض التعبيرات الاستعارية لا ننتبه فيها إلى لأن الاستعارة تخفي شيئاً ما، إذ إن هذه التعبيرات متجذرة في الطريقة التي تواضعنا عليها في التفكير حول اللغة إلى درجة أنه يصعب أحياناً أن نتخيل أنها لا تعكس الحقيقة(٣٢).

فالاستعارة كما يقول جورج ليست تتمركز بالألفاظ التي نستعملها؛ إنها حاضرة كذلك في تصور الجدال نفسه. وإن لغة الجدال ليست شعرية أو تخيلية أو بلاغية، إنها حرفية(٣٣).

ومن نماذج الاستعارة التي وظفها قاسم أمين في خطابه الحجاجي

قوله في كتاب (أسباب ونتائج) عندما تكلم عن مصدر ثروات كثير المصريين: "...وبين أولئك الذين منبع ثروتهم في أغلب العطايا والمنح التي تمطر عليهم بسبب كلمة وافقت المزاج أو لسبب خدمة خصوصية..."[٣٤].

فأنه شبه العطايا والمنح في كثرتها وغزارتها بالأمطار المتدفقة، فحذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه (تمطر)، ليوحي بكثرة الأموال والثروات التي ينالها الناس من غير تعب وجهد إنما هي المنح والعطايا التي يعطيها القوم لهم بسبب تملقهم لهم ومحاولة كسب ودهم؛ والقيمة الحجاجية لهذه الصورة الاستعارية أنها تنفر السامعين من هذه الطريقة في الحصول على الأموال، وتحثهم على العمل والسعي من أجل الكسب لا استجداء الآخرين وانتظار عطاياهم.

وقوله في ثنايا حديثه عن أصول التربية: "كل نفس صنعتها تربية حسنة تكون قائمة على قواعد متينة تحفظها من السقوط في مهاوي التلف"[٣٥].

تشبيه للنفس الإنسانية ببناء قاعدته هي التربية فإذا حسنت التربية كانت قاعدة متينة لهذه النفس، وإذا ساءت التربية آلت هذه النفس للسقوط في أي وقت، والقيمة الحجاجية لهذه الصورة الاستعارية هي تنبيه إلى اهمية التربية وضرورة العناية بها، ودحض الرأي القائل بعكس ذلك.

يلاحظ بعضاً من صور قاسم أمين الاستعارية غير متكلفة، وشائعة بين الناس حتى تتناسى الناس مجازيتها.

وكذلك في استعماله للصورة المجازية يلاحظ أنها تفيد في توضيح المعنى، كما أنها احياناً ترفع من حدة الانفعال نظراً لما فيه من مبالغة.

فاستعمال قاسم أمين للصور المجازية استعمال طبيعي لا تكلف فيه؛ لكنه أسهم بشكل كبير في تأكيد القيمة الحجاجية لخطابه من خلال توضح الأفكار، ورفع حدة العاطفة وتوجيه السامع كي يتعاطف ؛ لذا عدً من وسائل التأثير الدلالي.

٤-الكناية

تعد الكناية من وسائل التأثير اللغوية التي لجأ إليها قاسم أمين في عدد المواضيع لأغراض عدة.

والكناية والتعريض عند أبي هلال العسكري هو أن يكنى عن الشيء ويعرض به ولا يصرح، على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن شيء...[٣٦]

أما الكناية وفق ما قاله الأستاذ الهاشمي: هو لفظ أريد به غير معناه الأصلي، مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته[٣٧].

ويرى جورج لايكوف أن التصورات الكنائية لها النسقية نفسها التي توجد في التصورات الاستعارية فالتصورات الكنائية ننظم بواسطتها أفكارنا وسلوكنا، فإنها تسمح بتصور شيء عن طريق ارتباطه بشيء آخر، والتصورات الكنائية شأنها شأن الاستعارات ، لا تبين لغتنا فحسب بل أيضاً افكارنا والتصورات الكنائية أيضاً مثل التصورات الاستعارية قائمة على تجاربنا[٣٨].

ومن نماذج التعبيرات الكنائية التي وظفها قاسم أمين في خطابه الحجاجي

كقوله في كتاب (أسباب ونتائج) في سياق حديثه عن رداءة الأعمال الجادة العظيمة بسبب إهمال المصريين وتراخيهم: "...وهذا هو السر في أن جميع الأعمال القليلة التي شرعنا فيها كتأسيس مدرسة أو إنشاء جمعية أو تشكيل نادٍ أو عقد شركة لم تعش إلا بقدر ما تعيش الوردة"[٣٩].

وقوله "لم تعش إلا بقدر ما تعيش الوردة" كناية قصر عمر الأعمال الجادة العظيمة بسبب الاهمال.

وهو بهذا التعبير الكنائي يثير مشاعر الحزن والأسى في نفوس السامعين، وينبههم إلى ضرورة العناية بالأعمال الجيدة التي تحقق نفعاً للبلاد والعباد، من الطبيعي يريد أن يثير لديهم استجابة عملية تدفعهم إلى العمل بنشاط للحفاظ على المشروعات النافعة وتنميتها.

وقوله في كتاب (أخلاق ومواعظ) عن الموظف السياسي: "ولكنه في الأيام الأخيرة قد اكتشف كثير من المصريين الذين يستعملون دخائل الأمور وما يجري وراء الستار أن سياسة الرجل لا تخرج عن

حيل "قرة كوز" البسيطة"[٤٠].

قوله "... لا تخرج عن حيل قرة كوز البسيطة" كناية عن سياسة هذا الموظف الذي سماه (سياسي) سياسة قائمة على الخداع والاحتيال بأبسط الوسائل.

وفي هذه الكناية استثارة عاطفية للتنفير من هذه النوعية من الموظفين، والتنبيه إلى وجودهم لاكتشافهم والتعرف عليهم.

ب- توظيف الطباق والمقابلة حجاجياً

وظف قاسم أمين في خطابه الحجاجي أشكالاً من البديع بهدف الإقناع، وفي ذلك يقول الدكتور عبد الهادي الشهري إن المرسل يستعمل أشكالاً بديعية لا يقف دورها عند الوظيفة الشكلية على سبيل الزخرفة بل يكون لها دور حجاجي بهدف الإقناع.

ويشير أن البلاغة العربية مليئة بهذه الصور والإمكانات والشواهد التي تثبت ان الحجاج من وظائف هذه الصور[٤١].

ومن هذه الأشكال البديعية الطباق أو التضاد ويعني به الجمع بين المتضادين في الجملة، ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد اسمين أو فعلين أو حرفين او لفظين من نوعين مختلفين.

وينقسم الطباق إلى : طباق إيجابي وطباق سلبي، وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي أو أمر ونهي[٤٢].

ويعرفه الاستاذ أحمد الهاشمي بأنه الجمع بين لفظين مقابلين في المعنى وهما قد يكونان حرفين او فعلين او اسمين أو مختلفين، فيكون تقابل المعنيين وتخالفهما مما يزيد الكلام حسناً وطرافة.

ويسمى بالمقابلة وبالمطابقة وبالتضاد وبالتطبيق، وبالتكافؤ وبالتطابق- وهو أن يجمع المتكلم في كلامه بين لفظين يتنافى وجود معناهما معاً في شيء واحد وفي وقت واحد، بحيث يجمع المتكلم بين معنيين متقابلين[٤٣].

ومن أمثلة الطباق الذي وظفه قاسم أمين في خطابه الحجاجي

كقوله في كتاب (أسباب ونتائج) عن عدم احترام الرجل لعائلته وانسياقه وراء أهوائه في امور الزواج والطلاق: "... وهكذا يقضي حياته في تشييد بناء عائلات وهدمها"(٤٤).

الطباق هنا بالإيجاب، إذ جمع بين اللفظ ونقيضه (تشييد، وهدم) فقد وظف المؤلف الطباق بين لفظي (تشييد، وهدم) حجاجياً وربطهما بالأسرة؛ إنه كشف عن استبداد الرجل بحقه في الزواج والطلاق، وظهوره بمظهر غير مسئول؛ حتى يظهر للقارئ مقصده الحجاجي وهو هوله هذه الفعلة، وفيه دلالة على أهمية قيمة الاحترام في الأسرة، وخطورة غيابها على أفراد العائلة.

وقوله في كتاب (تحرير المرأة) عن أهمية التعليم للإنسان بشكل عام وللمرأة بشكل خاص: "العلم هو الوسيلة الوحيدة التي يرتفع بها شأن الإنسان من منازل الضعة والانحطاط إلى مراقي الكرامة والشرف"(٤٥).

الطباق بين (منازل الضعة والانحطاط) و(مراقي الكرامة والشرف) ويوضح الفرق بين المتعلم وغير المتعلم، أولاً: يحقق له علمه الكرامة والشرف، وثانياً: فلا يملك ما يحقق له الشرف فيعيش حياته في انحطاط ووضعة، وقد استعمل (منازل) من الجذر (نزل) مع الضعة والانحطاط، و(مراقي) من الجذر (رقي) مع الكرامة والشرف.

لوحظ أن قاسم أمين وظف في خطابه الحجاجي الطباق بنوعيه: الطباق السلبي والطباق الإيجابي وقد وظف الطباق حجاجياً للتأكيد على عدد من القيم مثل الاحترام والمساواة والإيجابية والعلم.

أما المقابلة

فهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل(٤٦).

ومن أمثلة المقابلة التي وظفها قاسم أمين في خطابه الحجاجي

كقوله في سياق حديثه عن أسباب عدم وجود اغنياء في مصر مقارنة بأوروبا: "فالأوروبيون إذن لم يصيروا أغنياء إلا بسببين: الأول: احتقار الاستخدام في وظائف الحكومة، وعدم الالتجاء إليها إلا عند الحاجة. والثاني: احترام التجارة والإقبال عليها أكثر من إقبالهم على بقية العلوم الأخرى.

ونحن على عكس ذلك: نحترم الوظائف الأميرية ونعدها منتهى الفخار والشرف، ونحتقر التجارة، ولا نقبل عليها ولا نقبل عليها إلا عند الحاجة المطلقة – فكان نصيبنا الفقر الأسود"(٤٧).

بين (احتقار الاستخدام في وظائف الحكومة) و(نحترم الوظائف الأميرية) مقابلة، وبين (احترام التجارة والإقبال عليها) و (نحتقر التجارة ولا نقبل عليها) مقابلة ثانية، وبين (يصيروا أغنياء) و(نصيبنا الفقر الأسود) مقابلة ثالثة.

وهذه المقابلات جميعاً توضح الأسباب التي تؤدي إلى الثراء والغنى، وتبرزها، وتنبه المتلقين إليها وفيها دعوة إلى العمل الحر المستقل، وعدم الاعتماد على الحكومة.

وقوله في كتاب (أخلاق ومواعظ) في ثنايا حديثه عن الموظف صاحب المعاش: "كأن العلم لا قيمة له في حد ذاته أو كأن العلم وكسب المال سهل وحلال في الحكومة، صعب وحرام وخارجها"(٤٨).

المقابلة بين (كأن العلم وكسب المال سهل وحلال في الحكومة) و (صعب وحرام خارجها) فيها تبكيت للمتلقين المتشبثين بالعمل الحكومي، الرافضين تماماً لأي عمل خارجه.

وفيه تأكيد لتمسك المصريين بالعمل الحكومي ورفضهم لما سواه، وفيه دعوة لعدم الاعتماد على الحكومة والخروج من دائرتها، والاتجاه إلى العمل الخاص المستقل.

الخاتمة

يرمي قاسم أمين بخطابه الحجاجي إلى إقناع المرسل إليه بما يراه، أي إحداث تغيير في موقفه الفكري والعاطفي، ولتحقيق هذا الهدف استراتيجية تداولية تعرف باستراتيجية الإقناع؛ فينبغي تكتسب اسمها من هدف الخطاب.

وتسهم المكونات اللغوية وطرق الصياغة وبعض البنى اللغوية المحددة في بناء خطاب حجاجي متميز تتعاضد فيه الأقيسة المنطقية والأبنية المعنوية مع التكوينات اللغوية التي يمكن أن توجه توجيها حجاجيا معينا، فتبرز وسائل لغوية بعينها يمكن أن تسهم في تغيير قوة الجملة حجاجياً

وتتعدد هذه الوسائل وتتنوع.

فمنها ما هو تأثيري دلالي وبلاغي يؤثر في المتلقي عاطفا وعقليا، ومنها ما هو عقلي ومنطقي يعمل على تغيير الموقف الفكر فقط لدى المتلقين.

وبين هذا الفصل تبين الأليات اللغوية التي وظفها المرسل (قاسم امين) لتحقق التأثير والاقناع ،وذلك في مبحثين يعالج فيهما الأدوات اللغوية للتأثير والاقناع التي وظفها قاسم امين في خطابة الحجاجي ليحقق رواجا لأفكاره ودعوتة الإصلاحية في المجتمع المصري.

الهوامش:

(١) دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة: كمال بشر، دار غريب، مصر، ط٢، ١٩٩٧م، ص١١١.

(٢) أسباب ونتائج، قاسم أمين، ص١٧٢.

(٣) أخلاق ومواعظ، قاسم أمين، ص٢٠٨.

(٤) تحرير المرأة، قاسم أمين، ص١٩.

(٥) أسباب ونتائج، ص١٧٥.

(٦) استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، ص٤٥٦-٤٥٧.

(٧) تحرير المرأة، ص٢٧.

(٨) ينظر: نظرية الحجاج في اللغة، من كتاب "أهم نظريات الحجاج..."، شكري المبخوت، ص٣٥٢.

(٩) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ، ص٣٦٥.

(١٠) أسباب ونتائج، ص١٩٨-١٩٩.

(١١) المرأة الجديدة، قاسم أمين، ص١٣٨.

(١٢) ينظر: دور التكرار في خطاب المجادلة العربي، عدنان الجبوري، ص١٠٠.

(١٣) أسباب ونتائج، ص٣.

(١٤) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، ٦/٥-٧.

(١٥) ينظر: مغني اللبيب. ابن هشام الانصاري، ٥٦٩/١.

(١٦) أسباب ونتائج، ص٢٠٠.

(١٧) ينظر: الإيضاح، القزويني، مكتبة الآداب، ط١، ١٩٩٦م، ص٣٠٧.

(١٨) ينظر: التصوير البياني، حنفي شرف، مكتبة الشباب، القاهرة ، ط٢، ١٩٧٢م، ص٧٨، ٧٩.

(١٩) ينظر: دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ص٢٥٦.

(٢٠) حجاجية الصورة الفنية في الخطاب الحربي، علي عمران، دار نينوي ، سوريا ، ٢٠٠٩م، ص٨٣.

(٢١) ينظر: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (الحجاج)، عبد الله صولة، ص٤١.

(٢٢) ينظر: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (الحجاج)، عبد الله صولة، ص٤٢.

(٢٣) ينظر: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (الحجاج)، عبد الله صولة، ص٤٣.

(٢٤) ينظر: كتاب الصناعتين، ابو هلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل، دار الإحياء الكتب العلمية، مصر، ط١، ١٩٥٢م، ص٢٣٢.

(٢٥) ينظر: حجاجية الصورة الفنية، علي عمران، ص٨٦.

(٢٦)ينظر: حجاجية الصورة الفنية، علي عمران، ص٨٧.

(٢٧) تحرر المرأة، ص١٤٢-١٤١.

(٢٨) تحرير المرأة، ص٥٢.

(٢٩) ينظر: تحليل خطاب الحجاج الاجتماعي في مؤلفات قاسم أمين، هدى عبد الغني، تقديم: إيمان السعيد، مكتبة الآداب- القاهرة، ص٢٣٣.

(٣٠) ينظر: كتاب الصناعتين، ص٢٦٨.

(٣١) ينظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمد رشيد، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ١٩٨٨م، ص٢٢.

(٣٢) ينظر: الاستعارات التي نحيا بها، جورج لايكوف، ترجمة: عبد المجيد، دار توبقال للنشر، تونس، ط٢، ٢٠٠٩، ص٣٠.

(٣٣) الاستعارات التي نحيا بها، ص٢٣.

(٣٤) أسباب ونتائج، ص١٧٨.

(٣٥) أسباب ونتائج، ص١٩٣.

(٣٦) ينظر: كتاب الصناعتين، ص٣٦٨.

(٣٧) ينظر: جواهر البلاغة، أحمد الهاشم، ص٣٤٦.

(٣٨) ينظر: الاستعارات التي نحيا بها، ص٥٨.

(٣٩) أسباب ونتائج ، ص١٧٨.

(٤٠) أخلاق ومواعظ، ص٢١٥.

(٤١) ينظر: آليات الحجاج وأدواته، ١٣٩/١.

(٤٢) ينظر: الإيضاح، ص٣٨٣-٣٨٥.

(٤٣) ينظر: جواهر البلاغة، ص٣٦٦-٣٦٧.

(٤٤) أسباب ونتائج، ص٢٠٢.

(٤٥) تحرير المرأة، ص٢٦.

(٤٦) ينظر: الإيضاح، ص٣٨٨.

(٤٧) أسباب ونتائج، ص١٨٤.

(٤٨) أخلاق ومواعظ، ص٢١٦.

المصادر والمراجع والبحوث:

١-أخلاق ومواعظ، الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، دار الشروق، مصر، ط٣، ٢٠٠٦م.

٢-أسباب ونتائج، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، دار الشروق، مصر، ط٣، ٢٠٠٦م.

٣-استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، دار الكتب الجديدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

٤-الاستعارات التي نحيا بها، جورج لايكوف، ترجمة: عبد المجيد، دار توبقال للنشر، تونس، ط٢، ٢٠٠٩م.

٥-أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمد رشيد، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ١٩٨٨م.

٦-آليات الحجاج وأدواته، عبد الهادي، الشهري، من كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد، حافظ إسماعيلي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٠م.

٧-الإيضاح، القزويني، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، ط١، ١٩٩٦م.

٨-البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (الحجاج)، عبد الله صولة، إعداد: حافظ إسماعيلي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٠م.

٩-تحرير المرأة، المركز العربي للبحث والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤م.

١٠-تحليل خطاب الحجاج الاجتماعي في مؤلفات قاسم أمين، هدى عبد الغني، تقديم: إيمان السعيد، مكتبة الآداب- القاهرة، ط١، ٢٠١١م.

١١-التصوير البياني، حنفي شرف، مكتبة الشباب، القاهرة ، ط٢، ١٩٧٢م.

١٢-جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١٢.

١٣-حجاجية الصورة الفنية، علي عمران، دار نينوى، سوريا، ٢٠٠٩م.

١٤-دور التكرار في خطاب المجادلة العربي، عدنان الجبوري، بحث منشور ضمن كتاب(بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي، ترجمة : محمد العبد، دار الفكر العربي ، مصر، ط١، ١٩٩٩م.

١٥-دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة: كمال بشر، دار غريب، مصر، ط٢، ١٩٩٧م.

١٦-كتاب الصناعتين. أبو هلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي، دار الاحياء، مصر، ط١، ١٩٥٢م.
المرأة الجديدة، المركز العربي للبحث والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤م.
١٧-مغني اللبيب. ابن هشام الانصاري، تحقيق: الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
١٨- نظرية الحجاج في اللغة، من كتاب "أهم نظريات الحجاج..."، شكري المبخوت، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، د، ت.